Volume (25), No. (3B) , e2025351 - (03/09/2025)

أماكن عذاب الأمم السابقة بين الأسباب والمقاصد

أماكن عذاب الأمم السابقة بين الأسباب والمقاصد

المعتصم بالله الحنيطي
اردني
omar1hammad2@gmail.com

*(Corresponding author) e-mail: omar1hammad2@gmail.com

الملخّص

يتناول البحث موضوعًا هامًا كثر ذكره في كتاب الله تعالى، ألا وهو أماكن عذاب وهلاك الأمم السابقة، ولا شك أن معرفة صور هذا العذاب الذي نزل بالأمم الهالكة، والوقوف على أسبابه، ومن ثم استنباط المقاصد القرآنية من ذكر أسماء أماكن هلاك هذه الأمم له أثر عظيم في سلوك المسلمين أفرادًا وجماعات.

ذلك أن هذه الأماكن لها أحكامها الخاصة إذا علمت على وجه اليقين، من حيث حرمة الانتفاع بما فيها من آثار تلك الأمم السابقة، نعم جوز العلماء الذهاب لتلك الأماكن للاعتبار والعظة، وأن يكون حال الزائر باكيا خاشعا، كي لا يصيبه ما أصاب هذه الأقوام من عذاب وهلاك عياذًا بالله تعالى.

ولقد عرفت بمعنى الأماكن والبلدان لغة واصطلاحا، وحكم زيارة هذه أماكن وقوع العذاب، في المبحث الأول، ثم ذكرت ثلاثة مطالب في المبحث الثاني، فيها صور وأسباب العذاب ومقاصد ذكر القرآن للأماكن التي نزل بها عذاب.

ABSTRACT

معرفة أن شك ولا ،السابقة الأمم وهلاك عذاب أماكن وهو ألا ،تعالى الله كتاب في ذكره كثر لما موضوع البحث يتناول أماكن أسماء ذكر من القرآنية المقاصد استنباط ثم ومن ،أسبابه على والوقوف ،الهالكة بالأمم نزل الذي العذاب هذا صور .وجماعات أفراد المسلمين سلوك في عظيم أثر له الأمم هذه هلاك

الأمم تلك آثار من فيها بما الانتفاع حرمة حيث من ،اليقين وجه على علمت إذا الخاصة أحكامها لها الأماكن هذه أن ذلك أصاب ما يصيبه لا كي ،خاشعا باكيا الزائر حال يكون وأن ،والعظة للاعتبار الأماكن لتلك الذهاب العلماء جوز نعم ،السابقة .تعالى بالله أعياذ وهلاك عذاب من الأقوام هذه

ذكرت ثم ،الأول المبحث في ،العذاب وقوع أماكن هذه زيارة وحكم ،واصطلاحا لغة والبلدان الأماكن بمعنى عرفت ولقد .عذاب بها نزل التي للأماكن القرآن ذكر ومقاصد العذاب وأسباب صور فيها ،الثاني المبحث في مطالب ثلاثة

Article history:

Submission ID: 351

Submission Date: 25/05/2025

Reviewing Date: 24/06/2025

Acceptance Date: 13/08/2025

Publishing Date: 03/09/2025

DOI: 10.6520/0gaqte03

Keywords:

Cite as:

الحنيطي، ا. (2025) أماكن عذاب الأمم السابقة بين الأسباب والمقاصد. Jerash for Research and Studies 25 (3B). https://doi.org/10.6520/0gaqte03e2025351

© The authors (2025). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY NC), which permits non-commercial re-use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited. For commercial re-use, please contact admin@jpu.edu.jo.

بحث بعنوان:

أماكن عذاب الأمم السّابقة
بين الأسباب والمقاصد

:Sites of Divine Punishment upon Previous Nations
An Analysis of Causes and Objectives

إعداد

الدكتور زكي مصطفى البشايرة

الطالب

المعتصم بالله محمد عبد ربه الحنيطي

للعام 2024/2025م

ملخص البحث

يتناول البحث موضوعًا هامًّا كثر ذكره في كتاب الله -تعالى-، ألا وهو أماكن عذاب وهلاك الأمم السابقة، ولا شك أن معرفة صور هذا العذاب الذي نزل بالأمم الهالكة، والوقوف على أسبابه، ومن ثم استنباط المقاصد القرآنية من ذكر أسماء أماكن هلاك هذه الأمم له أثر عظيم في سلوك المسلمين أفرادًا وجماعات.

ذلك أن هذه الأماكن لها أحكامها الخاصة إذا علمت على وجه اليقين، من حيث حرمة الانتفاع بما فيها من آثار تلك الأمم السابقة، نعم جوز العلماء الذهاب لتلك الأماكن للاعتبار والعظة، وأن يكون حال الزائر باكيا خاشعا، كي لا يصيبه ما أصاب هذه الأقوام من عذاب وهلاك عياذًا بالله -تعالى-.

ولقد عرفت بمعنى الأماكن لغة واصطلاحا، وحكم زيارة هذه أماكن وقوع العذاب، في المبحث الأول، ثم ذكرت ثلاثة مطالب في المبحث الثاني، فيها صور وأسباب العذاب ومقاصد ذكر القرآن للأماكن التي نزل بها عذاب.

الكلمات المفتاحية:

أماكن العذاب، مقاصد العذاب، صور العذاب، أسباب العذاب.

Research Summary

This research addresses an important topic frequently mentioned in the Book of God Almighty: the places of torment and destruction of previous nations. There is no doubt that understanding the forms of this torment that befell the perishing nations, understanding its causes, and then deducing the Quranic objectives from the names of the places of destruction of these nations has a profound impact on the behavior of Muslims, both individuals and groups.

These places have their own specific rulings, if known with certainty, regarding the prohibition of benefiting from the relics of those earlier nations. Indeed, scholars have permitted visiting these places for the sake of reflection and admonition, and for the visitor to be in a state of weeping and humility, lest he be afflicted with the torment and destruction that befell those peoples-God forbid. I explained the meaning of places and countries, linguistically and technically, in the first section, then discussed three points in the second section.

Keywords:

Places of torment, purposes of torment, forms of torment, causes of torment.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اهتدى بهداهم إلى يوم الدّين، فإن القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الترديد، ولا تمله العلماء، قد حوى اللؤلؤ والمرجان، والأخبار الحسان، كيف لا وهو كلام الله -تعالى-، وقد مدحه رب العزة فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

جاء في القرآن الكريم ذكر العديد من الأماكن، وكان سياق ورودها إما تعظيمًا من شأنها، وبيان فضلها، وإما لبيان أنها مكان إهلاك قوم وأمة عتت عن أمر ربها.

وهذا الضرب من الأماكن هو ما تناولته في هذا البحث، مبينًا نوع العذاب، وحكم المكان من حيث الانتفاع به والذهاب إليه، كما بيّنت المقصد القرآني من ذكر هذه الأماكن.

أولاً: موضوع البحث:

فقد عني القرآن الكريم بذكر الأماكن التي وقع بها عذاب أو هلاك في كثير من آياته، لتكون شاهدة نزول عذاب وهلاك لأقوام طغوا وتجبروا وخالفوا أمر الله -تعالى- المبيّن على لسان أنبيائه ورسله.

وقد تناول البحث صور وأسباب وغايات القرآن من ذكر الأماكن التي نزل بها عذاب.

ثانيًا: مشكلة الدّراسة:

جاء البحث ليكون مكمّلا لدراسات عديدة تناولت الشّخوص والأنبياء والأزمنة والنبات والحيوان في القرآن، ورأيت أن تناول موضوع أسباب وصور ومقاصد ذكر أماكن العذاب سيثري المادة العلمية المتخصصة في إظهار سعة معاني القرآن.

ولقد جاء البحث ليجيب عن هذه الأسئلة:

1- ما مقصد القرآن من ذكر الأماكن التي وقع بها عذاب أو هلاك؟
2- ما صور العذاب التي نزلت بالأقوام السابقين؟
3- ما سبب وقوع العذاب على الأمم السابقة؟
4- ما الأحكام الشرعية المترتبة على معرفة أماكن عذاب الأمم السابقة؟

ثالثًا: أهداف الدّراسة:

جاءت الدّراسة لتجيب عن الأسئلة السّابقة، وذلك من خلال ما يأتي:

1- بيان المقصد العام والحكمة الكلية من ذكر الأماكن التي وقع بها عذاب أو هلاك.
2- إبراز صور العذاب الذي نزل ببعض الأمم السابقة.
3- ذكر أسباب عذاب وهلاك الأقوام السّابقين، مع بيان الأحكام العامة المتعلقة بها.

رابعًا: أهمية الدّراسة:

تأتي أهمية البحث من خلال بيان الأماكن في القرآن الكريم والمتضمنة صور عذاب تناسب أحوال المعاصي التي ارتكبها هؤلاء الأقوام، وما يستفاد من ذلك من عبر وأحكام.

خامسًا: منهجية الدّراسة:

قمت باتباع الأسس العلمية الأكاديمية المتبعة من حيث توثيق النّصوص من الكتاب والسنة، وعزوها لمظانها، كما اهتمت الدّراسة بربط الدّراسات القديمة بالدراسات المعاصرة وترجيح الأصح والأسد وفق ما تدل عليه الدّلائل المرجحة، والقرائن المبينة، من المنقول والمعقول.

هذا واستخدمت المنهج التحليلي القائم على التفصيل بحال الأماكن في القرآن الكريم من خلال المنهج الاستقرائي التام، والذي يعنى باستقصاء الأماكن التي وقع فيها هلاك أو عذاب.

سادسًا: الدّراسات السّابقة:

1- المكان ودلالته في القرآن -الموضوعية والفنية- جامعة البصرة 2000-علي عبد محي.

وهذه الدّراسة في جامعة البصرة، كلية التربية، قسم اللغة العربية، البصرة وهي دراسة لغوية أدبية.

2- مبهمات الأماكن الواردة في القرآن الكريم – دراسة وتحليل عبد الغني الرّاجحي -القاهرة 1982- رسالة دكتوراه، وهذه الدّراسة اعتنت ببعض الأماكن، وهي التي أغفل اسمها، واعتنى بالكشف عن أسمائها.

تتناول الدّراسة كيفية تفسير الأماكن في القرآن بناءً على الخرائط الجغرافية القديمة.

هذه الرّسائل توفر تحليلات تفصيلية وشاملة حول الأماكن التي تم ذكرها في القرآن الكريم، وتساهم في تحديد مواقع الأماكن على الخريطة وفي كتب التاريخ.

سابعًا: خطة الدّراسة:

جاء البحث في مبحثين، وحوى كل بحث، وكل مبحث على عدة مطالب على النّحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بأهمية الدّراسة للأماكن التي نزل بها عذاب أو هلاك.

المطلب الأول: التعريف بمعنى الأماكن لغة، واصطلاحا.

المطلب الثاني: ذكر جملة من أماكن نزل بها عذاب وهلاك.

المطلب الثالث: الأحكام المتعلقة بأماكن عذاب وهلاك الأمم السّابقة.

المبحث الثّاني: أماكن عذاب الأمم السّابقة بين الأسباب والمقاصد.

المطلب الأول: من صور العذاب التي أهلك الله بها الأمم السّابقة.

المطلب الثّاني: أسباب هلاك الأمم.

المطلب الثّالث: غاية القرآن الكريم من ذكر أماكن عذاب الأمم إما تصريحًا وإما تلميحًا.

المبحث الأول: التعريف بأهمية الدّراسة للأماكن التي نزل بها عذاب وهلاك:

المطلب الأول: تعريف الأماكن لغة، واصطلاحًا.

ا- الأماكن جمع مكان، والمكان هو الموضع الحاوي لغيره[1]، أو موضع الكينونة[2]، يعني ظرف لمظروف، والأصل فيه أنه حسي كقوله -تعالى-: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: 143] وقد يكون معنويًّا، كقوله -تعالى- على لسان يوسف-عليه السّلام-: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:77] والمكانة المنزلة[3].

- **تعريف الأماكن اصطلاحًا:** المواقع المذكورة التي سكنها النّاس بشكل عريض أو طويل.

وعناية القرآن الكريم بذكر الأماكن في مقام التعذيب لأهلها ومن هذه الأماكن ما ذكر في عذاب الأقوام والخسف بهم، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان يسرع في مروره بأرض العذاب، كما جاء في حديث ابْنَ عُمَرَ-رضي الله عنهما- [4]، بل كان يفارق الأرض التي يعلم أنه مأوى للشياطين؛ فقد غير مكانه لما نام عن الفجر في السّفر[5].

ويدخل في هذه الباب لطائف القرآن المتعلقة بذكر الأماكن في سياق ما كهذه اللطيفة.

وتحديد الأماكن الجغرافية وذكر الأسماء المناسبة للسياقات وجهان من أوجه الإعجاز:

الأول: غيبي يوافق الصّحيح من التاريخ ويدل على شيء من علم الله -تعالى- الذي وسع كل شيء؛ فلا يسكن ساكن في مكان مؤقت بعد تقلب وتجول، ولا يأوي إلى مأوى ولو كان قبرًا إلا وهو مراقب معلوم المكان.

المطلب الثاني: ذكر جملة من أماكن وبلدان نزل بها عذاب وهلاك.

أولاً: ذكر القرآن الكريم مكان قوم عاد:

وهو الأحقاف:

ا- ذكر الأحقاف، والتعريف به:

---

1) الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1992م)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، دمشق، سوريا، (صـ772-773) (مكن).

2) جبل، محمد حسن، (2010م)، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (4/ 2501) (مكن).

3) ابن منظور، محمد بن مكرم، (1994م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، (13/ 413) (نمك).

4) متفق عليهِ: البخاري، محمد بن إسماعيل، (1987م)، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، (6/ 7/9441) كتاب حديثِ الأنبياء- باب نزُولُ النّبِيِ -صلى الله عليه وسلم- الحِجْرَ، ومسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، مصدر سابق، (8/ 221/ 2980) كتَابُ الزّهْد وَالرَّقَائِق -بَابُ: لا تدْخُلوا مسَاكنَ الذينَ ظلمُوا أنْفُسَهُمْ إلا أنْ تكُونوا بَاكينَ.

5) القشيري، **صحيح مسلم**، مصدر سابق، (2/ 813/ 680): كتَابُ المَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصلَاةِ-بَابُ قضَاءِ الصلَاةِ الفَائِتَةِ، وَاسْتِحْبَابِ تعْجِيلِ قضَائهَا.

الأحقاف لغةً: "الأحقاف جمع حقف وهو ما اعوجّ من الرّمل واستطال".

وقال الفرّاء: "وأحدها حِقْف، وهو: المستطيل المشرف".

والحقف: "أصل الرّمل، وأصل الجبل، وأصل الحائط، وقد احقوقف الرّمل، إذا طال واعوجّ".

وقال ابن سيده: "كل موضع دخل فيه؛ فهو حقف"[6].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21].

حدد القرآن الكريم مكان هلاك قوم عاد وهو الأحقاف، إلا أن العلمَاء وأهلَ التفسير اختلفوا في مكان الأحقاف على التحديد، فقال بعضهم: هو في الشّام، وقال آخرون: هو واد بين عُمان ومُهرة، وقال آخرون: هي الأرض، وقالوا هي: حساف من حسمى، وقالوا: في السّحر[7].

- مكان الأحقاف عند المفسرين:

أورد الطّبري في (تفسيره)[8]، أقوال أهل العلم في مكان الأحقاف، فقال: اختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف؛ فقال بعضهم: هي جبل بالشام[9]، قاله ابن عباس.

وقال الضّحاك: هو جبل.

وقال ابن عباس في رواية: بل هي واد بين عمان ومهرة.

وقال إسحاق: "كانت منازل عاد وجماعتهم حيث بعث الله إليهم هودًا الأحقاف، الرّمل فيما بين عمان إلى حضرموت فاليمن كله"[10].

وقال مجاهد: هي أرض[11].

وذكر المفسرون: أنها حِشاف من حسْمى[12].

ولعلها وصف للأحقاف، فالحشاف الحجارة في الموضع السّهل.

---

6 ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، (9/ 52)، وانظر الزّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرجع سابق، (23/157).

7 انظر: الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (21/159)، والسويدي، محمد أمين البغدادي (د. ت)، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، صـ 41.

8 الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (21/150-153).

9 أورده السيوطي، جلال الدّين بن أبي بكر (2011م)، **الدّر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، لبنان، (7/ 448).

10 البغوي، الحسن بن مسعود، (1997م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: أحمد عبد الله الشمر وآخرون، دار طيبة للنشر، السّعودية. (6/371).

11 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (21/152).

"ويقال للجزيرة في البحر: لا يعلوها الماء حشفة، وجمعها حِشاف، قاله الأزهري"[13].

"قال أبو النّدى: هي برية بين السّواجير، ويانس بأرض الشّام بستة فراسخ"[14].

وخساف -بضم أوله-، موضع في ديار بني بكر [15].

وقال أبو بكر: خساف: مفازه بين الحجاز والشام[16].

وقال آخرون: هي رمال مشرفة على البحر بالشحْر.

وقد ذكر ابن عاشور عن الأحقاف: بأنها الرّمل العظيم المستطيل وكانت هذه البلاد المسماة بالأحقاف منازل عاد [17].

قال ابن عباس: (الأحقاف) وادٍ بين عُمان ومَهْرَة، وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له: مَهْرَة، وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الرّبيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرَم.﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21].

وأولى الأقوال بالصواب عند الإمام الطّبري أن يقال: إن الله -عز وجل- أخبر أن عادًا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت به الرّمال المستطيلة المشرفة.

وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشام، وجائز أن يكون واديًا بين عمان وحضرموت، وجائز أن يكون الشّحر، وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب.

"وأين كان فصفته ما وصفنا، من أنهم كانوا قومًا منازلهم الرّمال المستعلية المستطيلة"[18].

---

12 قال البكري: والحشاف: الحجارة في الموضع السّهل، البكري، عبد الله الأندلسي، (1992م)، **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (1/ ١١٩).

وحِسْمى: موضع من أرض جذام، ويقال: إن الماء بقي بحسمى بعد الطّوفان ثمانين سنة، فهو ماء حسمى.

البكري، عبد الله البكري الأندلسي، (1983)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (2/448).

13 الهروي، أحمد بن محمد، (1999م)، **الغريبين في القرآن والحديث**، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، (2/449).

14 أبو الحجاج، مجاهد بن جبر، (1989م) **تفسير مجاهد**، ط1، دار الفكر الإسلامي، مصر، ص603.

15 الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النّيسابوري (د. ت)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (2/129).

16 الزّمخشري، محمود بن عمرو، (1999م)، **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ص121.

17 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (26/45).

18 الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (21/153).

إذن يمكننا القول: إن (الأحقاف) وردت في القرآن الكريم في سياق الحديث عن قوم (عاد) الذين عاشوا في منطقة الأحقاف، والمراد بالأحقاف: المنطقة الصّحراوية ذات التلال الرّملية، وتعتبر من المناطق القاحلة التي تقع في جنوب الجزيرة العربية وقد ذكر القرآن هذه المنطقة لتسليط الضّوء على عاقبة قوم عاد الذين أهلكهم الله بسبب تكبرهم وفسادهم.

ثانيا: قوم ثمود:

يُنسب الثّموديون إلى ثمود بن جاثر بن آدم بن سام [19] ويرى بعضهم أن ثمود إنّما هو أخو جديس وطسم وأنّهم أبناء عابر بن إرم بن سام بن نوح [20]، ويكتفي البعض بإرجاع نسبهم إلى عاد على أنّهم بقية من عاد[21] ويُجمع المؤرخون الإسلاميون على أن الثّموديون عرب ومن العرب العاربة[22] وأنهم من بقية قوم عاد، نشأوا في اليمن ثمّ غلبهم الحميريون، فأجلوهم إلى الشّمال فسكنوا منطقة الحجر[23] اشتهرت ثمود بعد عاد وخلفتها سياسيًا ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف:74] وكانت أمّة قوية في شمالي بلاد العرب وكانت على درجة عالية في البناء والتعمير، فكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا، ولا تزال آثارهم باقية إلى الآن وعليها نقوش من الخط الآرامي والثمودي[24].

- **ذكرهم في القرآن الكريم:**

ورد ذكر قوم تمود في القرآن الكريم (26) مرة، في آيات دعوة أخاهم صالحًا إياهم إلى التوحيد وعبادة الله، وتذكيرهم بنعم الله عليهم ووصف مساكنهم ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: 9].

وجاء ذكرهم بعد قوم عاد، وهذا دليل على التقارب الزّمني بينهما، لكنهم كذّبوا رسولهم وطغوا في الأرض، حتى أنزل الله عليهم العذاب في مساكنهم فأهلكوا بالصاعقة، بعد أن رأوا آيات ربهم (الناقة) فكفروا فاستحقوا العذاب المهين[25].

---

19 ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (1997م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1/89)، القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، مرجع سابق، (1/313)، الدّينوري، **المعارف**، مرجع سابق، (1/13)، المقدسي، **البدء والتاريخ**، مرجع سابق، (3/37)، القلقشندي، أحمد بن علي، (1900م)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط2، دار الكتاب، لبنان، صـ55، والطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مرجع سابق، (12/ 524).

20 ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق(1/131)، والصحاري، **الأنساب = تاريخ العوتبي**، مرجع سابق، صـ 34.

21 ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، (3/105)، والزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرجع سابق، (2/31).

22 ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، (1/117)، السّويدي، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، مرجع سابق، صـ 38.

23 ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، (1/70)، وابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، (3/ 105)، والزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرجع سابق، (2/312).

24 النّدوي، **تاريخ أرض القرآن**، مرجع سابق، صـ189.

25 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، (3/395).

ثانيًا: مكان عذاب قوم ثمود:

- **ذكر مكانهم عند أهل التفسير:**

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: كان (أصحاب الحجر) ثمود، قوم صالح.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال: "نزل رسول الله -عليه السّلام- عام غزوة تبوك بالحجر عند بيوت ثمود، فاستقى النّاس من مياه الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، وعجنوا منها ونصبوا القدور باللحم، فأمرهم بإهراق القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها النّاقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا؛ فقال: إني أخشى أن يصيبكم مثل الذي أصابهم، فلا تدخلوا عليهم"[26].

إذن أصحاب الحجر هم ثمود، قوم صالح - عليه السّلام-، والحجر أرض بين الحجاز والشام، وتقدّمت قصته في الأعراف مستوفاة. والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً، لأنّ من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً.

قَوْلُهُ -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: 80-81]؛ أي ولقد كذّبَ قومُ صالحٍ ومَن تقدَّم من المرسَلين، والْحِجْرُ ديارُ ثَمُودٍ، وإنما سُمُّوا أصحابَ الحجرِ؛ لأن الحجرَ اسمٌ لوادٍ كانوا يسكُنون عندَهُ[27]. يعني ثمود، كذبوا صالحاً -عليه السّلام-.

ومن كذب واحداً من الأنبياء -عليهم السّلام-، فقد كذب الجميع؛ لاتفاقهم على التوحيد والأصول التي لا تختلف باختلاف الأمم والإعصار، و(الحجر): واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه، معروف، يجتازه ركب الحج الشّاميّ[28].

وفي هذا السّياق، يشير القرآن الكريم إلى (الحجر) كمكان تم فيه تعذيب قوم ثمود، وهو وادٍ يقع في المنطقة بين الحجاز والشام، وتحديدًا في منطقة الحجر التي تُعرف الآن بـ (مدائن صالح) في المملكة العربية السّعودية.

لقد شكلت الحجر طرازًا معماريًا فريدًا، كونها نحتت في الصّخور وكانت أبنيتها ضخمة جدًا، لكنها أصبحت فيما بعد رمزًا لعاقبة العصيان، إذ كان تعذيب قوم ثمود في الحجر قد جاء نتيجة تكبرهم ورفضهم الآية التي أتاهم بها نبيهم، والمتمثلة في النّاقة التي خرجت من الصّخرة، والتي كانت آية عظيمة على قدرة الله.

---

26 () السيوطي، **الدّر المنثور في التفسير بالمأثور**، مصدر سابق، (5/93-94).

27 () الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (4/51).

28 () القاسمي، **محاسن التأويل**، مصدر سابق، (6/342).

وبالرغم من هذه المعجزة، استمروا في كفرهم وطغيانهم حتى حل بهم العذاب الذي أتى به الله عز وجل، فدمرهم في هذا المكان وأصبح عبرة لمن خلفهم.

قال البغوي: وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى [29].

وقال ابن كثير في تفسيره: هم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد[30].

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: وهم قبيلة مشهورة يقال: ثمود باسم جدهم ثمود أخي جديس، وهما ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك، وقد مر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين [31].

وجاء في كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام: ولم يعين القرآن الكريم موضع منازل ثمود، وإنما يظهر من آية: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: 9]، أن مواضعهم كانت في مناطق جبلية، أو في هضاب ذات صخور.

وقد عين أكثر الرّواة (الحجر) على أنه ديار ثمود، وهو قرية بوادي القرى. وقد زارها بعض الجغرافيين وعلماء البلدان والسياح، وذكروا أن بها بئراً تسمى بئر ثمود، وقد نزل بها الرّسول مع أصحابه في غزوة تبوك.

وقد ذكر المسعودي أن منازلهم كانت بين الشّام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي، وديارهم بفج النّاقة، وأن بيوتهم منحوتة في الجبال، وأن رممهم كانت في أيامه باقية، وآثارهم بادية، وذلك في طريق الحاج لمن ورد الشّام بالقرب من وادي القرى[32].

وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: 81] يقول: وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحا، فكانوا عن آياتنا التي آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون.

القول في تأويل قوله -تعالى-: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: 82-84].

يقول -تعالى-: وكان أصحاب الحجر، وهم ثمود قوم صالح، (يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ) من عذاب الله، وقيل: آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال. وقيل: آمنين من الموت.

وقوله: (فَأَخَذَتْهُمُ الصّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) يقول: فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرّابع من اليوم الذي وُعدوا العذاب، ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾

---

29 () البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، مصدر سابق، (3/342).

30 () ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، (4/ 331).

31 () ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، (1/ 304).

32 () العلي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، (4/ 323).

[هود: 65]، وقوله ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الحجر: 84]، يقول: فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجترحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك[33].

المطلب الثالث: الأحكام المتعلقة بأماكن عذاب وهلاك الأمم السّابقة.

إن تحديد الأماكن التي وقع بها عذاب أو هلاك في الأمم السّابقة، ليس غرضه فقط التعداد والذكر المجرد، بل الأمر يتعدى ذلك، فقد جاءت نصوص عديدة تبيّن أحكامها الشّرعية من حيث المرور بها، والاستفادة من خيراتها.

ومن هنا يتضح المقصد الجليل في القرآن الكريم، من أنه لم يعيّن أغلب تلك الأماكن جغرافيا ومكانيًّا، حتى لا يضيق على النّاس الانتفاع من هذه البقاع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: إن الغاية الأسمى من ذكر عذاب الأمم السّابقة هو التحذير من الوقوع بما وقعوا به، من الكفر والشرك، والمعاندة لأوامر الله ورسله.

أما الأماكن التي تم ذكرها وعرف موقعها فهي على ضربين اثنين:

الأول: أماكن عذاب عرفت حدودها وأماكنها بأدلة نقلية صريحة.

الثاني: أماكن عذاب عرفت حدودها وأماكنها بأدلة ظنية من المؤرخين، وأهل الكتاب.

أما ما كان عرف بالأدلة الصّحيحة الصّريحة، فالأحكام التي تتعلق به واجبة بحق كل مسلم يمر بها، أو يقطن فيها، وسيأتي قريبا بين تلك الأحكام.

وأما تلك الأماكن التي لم يثبت فيها نقل صحيح صريح عن معصوم، فإن الحكم في شأنها يدخل في باب الورع والتنزه عنها يكون في دائرة الحيطة، لا أكثر؛ بل قد يكون إغفال الأحكام المناطة بأماكن العذاب التي ورد تحديدها من كلام أهل التاريخ وأخبار أهل الكتاب هو الأصل.

إذ في تعطيل الانتفاع بها، أو ارتيادها إضاعة ومفسدة عظيمة، كمنطقة البحر الميت في الأردن، وكما سيأتي بيانها قريبًا.

---

[33] الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (17/126-127).

أولاً: الأحكام المتعلقة بأماكن العذاب والهلاك الثّابتة بالأدلة الصّحيحة الصّريحة:

1- حرمة دخولها والإقامة بها:

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم»[34].

وكان هذا النّهي منه -صلى الله عليه وسلم- لمّا مر مع أصحابه بالحجر ديار ثمود في حال توجههم إلى تبوك.

قال الحافظ ابن حجر: وجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله –تعالى- على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمة بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك[35].

2- وجوب استحضار ما حل بالأقوام التي هلكت، وأمارة ذلك البكاء أو التباكي:

حيث إن هذه الأقوام قابلوا نعمة الله بالكفر، وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له، فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال، ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل مثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم.

3- الاتعاظ والتفكر والاعتبار بما جرى لهم والحذر من سلوك سبيلهم:

بوّب الإمام النّووي في الأذكار[36] على الحديث السّابق، باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظّالمين وبمصارعهم، وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك.

4- عدم الشّرب والعجن من آبارها:

ثبت أن النّبي -صلى الله عليه وسلم- أمرهم بإلقاء العجين وإهراق الماء الذي استقوه من تلك الأرض؛ إلا ما استقوه من بئر النّاقة.

كما ثبت من حديث ابن عمر قال: نزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام غزوة تبوك بالحجر عند بيوت ثمود، فاستقى النّاس من مياه الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، وعجنوا منها ونصبوا القدور باللحم، فأمرهم بإهراق القدور، وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها النّاقة[37].

---

34 () متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، (1/94/433)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزّهد والرقائق، باب لا تدخلوا مسكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، (8/220/2980).

35 () العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مصدر سابق، (1/530).

36 () النّووي، يحيى بن شرف، (1994م)، **الأذكار**، دار الفكر، بيروت، لبنان، صـ (169).

وذهب ابن حجر: إلى كراهة الاستقاء من آبار ثمود ويلحق بها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت مكان تعذيب الأقوام وهلاكهم [38].

ورأى النّووي: أن استعمال الآبار المذكورة للطهارة وغيرها مكروه أو حرام، إلا لضرورة [39].

5- ما يحرم على المكلف يحل لغير المكلف:

ذهب بعض أهل العلم إلى عدم جواز الانتفاع به فراراً من سخط الله وأن هذا خاص بالمكلف، لتوجيه النّبي -صلى الله عليه وسلم- لنا أن نعلفه للدواب والإبل والبهائم، إذ لا تكليف عليها[40].

6- يباح زيارتها للاتعاظ والاعتبار:

أجاز أهل العلم زيارة الأماكن التي وقع بها عذاب، إذا كان للعظة والعبرة، شرط ألا يطول المكث فيها، فإذا كانت الزّيارة سريعة بهذه النّية، فلا بأس بها، كونهم قوماً أهلكم الله بذنوبهم، للحديث الصّحيح الوارد في تحريم دخول مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن نكون باكين، كي لا يصيبنا مثل ما أصابهم [41].

أما إذا كانت الزّيارة لآثار القوم المعذبين بغرض التنزه والتفسح فلا يجوز، ويستثنى من ذلك زيارة آثار الدّول، والحضارات، ومتاحف المسلمين، التي يستذكر من خلالها المسلمون تاريخ الحضارات والأمم السّابقة.

أولاً: الأحكام المتعلقة بأماكن العذاب والهلاك التي وردت في كلام المؤرخين وأهل الكتاب:

إن من جملة الأحكام التي تتعلق بأماكن العذاب، أماكن لم يقم دليل صحيح صريح بتحديدها، إلا أن بعض القرائن العقلية والتاريخية تشير لذلك، ومنها البحر الميت، وقرى سدوم.

فقرى سدوم التي أصابها ما أصابها من العذاب بالقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة، قال جمع من المؤرخين أنها منطقة: البحر الميت، والذي هو مكان خسف قرى قوم لوط، كما توافقت أخبار أهل الكتاب المنقولة في كثير من كتب أهل التفسير والتاريخ الإسلامي.

---

37 0 متفق عليه، أخرجه البخاري مختصرا في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (5/136/4224)، ومسلم في صحيحه كتاب الزّهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، (8/220/2982).

38 0 العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مصدر سابق، (1/530).

39 0 النّووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النّووي (ت 676 هـ) (1929م)، **المجموع شرح المهذب**، (إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي)، القاهرة، مصر، (1/92).

40 0 ابن العربي، (2003م) **أحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (3/109).

41 0 سبق تخريجه.

إن وصف منطقة خسف قوم لوط بأنه بحيرة منتنة، يتوافق مع بيئة البحر الميت، إذ هي بيئة فريدة تجعل من الصّعب أن تعيش فيه كائنات حية، بسبب درجة الملوحة الشّديدة، حتى إن اللتر الواحد يحتوي على 300 جرام من الملح مقابل 35 في المتوسط من البحار الأخرى.

ولكن كل ما سبق لا يعدوا كونه أدلة ظنية، بل الغالب على الظّن أن كل ما ورد مما يتصل بهذا الموضوع قد أخذ عن أهل الكتاب.

وقد أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم فيما ليس في شريعتنا ما يشهد بصدقه أو كذبه.

ومجرد ذكر كتب التفسير أنها منطقة قوم لوط لا يؤثر في الحكم، لأن كتب التفسير لم تسند ذلك إلى خبر صحيح عن المعصوم -صلى الله عليه وسلم-، وإنما هي أقوال خلو عن الدّليل، فلا يمكن اعتمادها في أثبات حكم شرعي.

وعليه فلا يثبت بهذه النّقولات حكم شرعي، بحيث يأخذ البحر الميت حكم ديار ثمود أو غيرهم من الأمم الهالكة.

والأصل في الأشياء الإباحة، ولا فرق بين البحر الميت وغيره من الأماكن في الحكم الشّرعي حتى يأتي دليل صحيح صريح يثبت ذلك.

وبناء على ما سبق:

1- يباح الانتفاع بما يخرج من البحر الميت من ملح وغيره من مواد، مما يجوز الانتفاع به، ولم يكن محرماً لعلة أخرى.

2- يباح الانتفاع من طينة البحر الميت، إذا ثبت ذلك طبياً في علاج بعض الأمراض.

3- يباح الذهاب إليه لغرض التنزه والسياحة كالاستحمام والسباحة، شرط ألا يرافقه اختلاط محرم أوعري.

وهذا ينسحب على أي مكان أو بلد ذكر أنه موطن عذاب أو هلاك بنقل أهل الكتاب أو أهل التاريخ.

المبحث الثاني: غاية القرآن الكريم من ذكر أماكن معينة في عذاب الأقوام السّابقين

المطلب الأول: من صور العذاب التي أهلك الله بها الأمم السّابقة:

أولاً: الغرق والطوفان:

وهو أقل عذاب استئصال عذّب الله به الكافرين من قوم سيدنا نوح -عليه السّلام- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14].

يقول الإمام الطّبري: فأهلكهم الله بالماء الكثير، وكل ماء كثير فاشٍ طام: فهو عند العرب طوفان[42].

ثم عذب الله فرعون وجنوده بالغرق في اليم، قال تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: 77]، وقوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 136]، وعذب بالسيل والطوفان مملكة سبأ، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: 16 – 17].

ثانيًا: الرّيح.

وقد عذّب الله قوم عاد بالريح، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]، ويقول -عز وجل-: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت: 16].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24].

وقوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: 41].

والريح العقيم: هي الخالية من المنافع التي ترجى لها الرّياح من إثارة السّحاب وسوقه، ومن إلقاح الأشجار بنقل غبرة الذكر من ثمارها إلى الإناث من أشجارها، أي: الرّيح التي لا نفع فيها. كالناقة العقيم لا تثمر نسلاً ولا درًا.

وهذا تشبيه بليغ في الشّؤم، وهذه الرّيح لها صفات، فهي صرصر، وهي عقيم، وهي لا تذر شيئًا إلا جعلته كالرميم، وهي تدمّر كل شيء بأمر ربها[43].

---

42 () الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (18/370-371).

43 ()ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (12/28).

ثالثًا: الصّيحة[44]:

فأما أخذ الصّيحة ففي خمسة مواضع[45]:

في سورة هود في قصة سيدنا صالح -عليه السّلام-: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: 67].
وفي الحجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: 73].
وفيها: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 83].
وفي العنكبوت: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].
يقال: الصّيحة، صاح بهم جبريل، ويقال الصّيحة: النّداء بوقوع العذاب ونزول الصّاعقة، وقيل: هو الصّوت الهائل الذي يجيء، فلا تتمالك له القلوب، بل تنفطر وتنخلع، فيموت السّامعون لها، وقال الإمام أبو منصور[46]: الصّيحة: الصّاعقة، وقيل: هي اسم لكل عذاب[47].

رابعًا: الحاصب.

الحاصب، هو: العذاب الذي عذب الله به قوم لوط لما كفروا وارتكبوا الموبقات، فقال -عز وجل-: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].
وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: 82 – 83].
والعرب تسمي الرّيح العاصف التي فيها الحصى الصّغار أو الثّلج، أو البرد أو الجليد حاصبًا[48].

والحصب: الحجارة صغيرها وكبيرها، ويحصبهم، أي: يرميهم بحجارة، وقيل: حاصبًا، أي: ريحًا تقلع الحصباء لقوتها، وهي صغارها وكبارها، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصى حاصب، وللسحاب يرمي بالبرد والثلج حاصب[49].

---

44 عبّر عن الصبيحة بالصاعقة، وبالرجفة وبالطاغية والدمدمة، وكل هذه العبارات راجع إلى الصيحة.

45 ابن الجوزي، عبد الرّحمن بن علي، (1987م)، **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، دار البشائر، بيروت، لبنان، ص 474.

46 هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، وضع منهجًا في علم الكلام، يجمع بين النقل والعقل، وهو مؤسس المدرسة الماتريدية في علم الكلام، توفي سنة 944هـ.
نويهض، عادل، 1988م، **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، ط3، بيروت، مؤسسة نويهض القافية للتأليف. (2/611).

47 النّسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النّسفي، (1419 هـ - 1998م)، **تفسير النّسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق: يوسف علي بديوي، تقديم، محيي الدين ديب مستو، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، (8/231).

48 الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (18/400).

49 ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، (1/319-320).

وهو العذاب الذي عذب الله به أصحاب الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: 1].

خامسًا: الخسف.

عذب الله قارون بالخسف، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصص: 81].

والخسف: غموض ظاهر الأرض، والخسف النّقصان[50]، والخسف: الذهاب في الأرض[51].

سادسًا: المسخ.

وهو العذاب الذي وقع على أهل القرية التي كانت حاضرة البحر من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: 166].

والمسخ: تحويل خلق عن صورته، وكذلك المشوه الخلق[52]، وهو: تحويل صورة إلى صورة أقبح منها، وفي التهذيب: تحويل خلق إلى صورة أخرى، مسخه الله قردًا يَمْسَخُه، وهو مسخ ومسيخ، وكذلك المشوه الخلق[53].

المطلب الثّاني: أسباب وقوع العذاب على الأمم الهالكة.

أولاً: الكفر والظلم.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: 59].

وقد جعل الله العقوبة للأمم التي كذبت رسلها وكفرت بآيات ربها، سنة لَهَ في خلقه.

وقد جاءت الآيات تتوعد الأمم الكافرة بسنة الله الماضية في أهل الشّرك والكفر، ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: 58].

وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم، وخطاياهم كما قال تعالى عن الأمم الماضين.

وسنة عذاب الأمم المكذبة لآيات الله، سنة لا مهرب منها، إذ هي قدر الله الذي لا يغلب، ولكن قد يؤخره الله ليبلغ أجله، لكن ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43].

ثانيًا: الطّغيان وظلم العباد:

---

50 الحميري، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني. (1420 هـ - 1999 مـ) **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري و مطهر بن علي الإرياني و د يوسف محمد عبد الله، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، (3/1793).

51 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، (318/13).

52 الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ) (د. تـ)، **العين**، دار ومكتبة الهلال، مصر، (4/206).

53 ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، (3/55).

قال الله –تعالى-: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: 59]، أي: «أهلك الله أهل القرى، أي: عاد وثمود وقوم لوط وأشباههم، (لما ظلموا) أي: حين ظلمهم، وعلة الإهلاك هي: الظّلم»[54].

ولمّا بيّن تعالى كيفية أخذ الأمم المتقدمة، ثم بيّن أنه إنما يأخذ جميع الظّالمين على ذلك الوجه، أتبعه بما يزيد تأكيدًا وتقوية، فوصف العذاب بالإيلام والشدة.

رابعاً: العتق والكبر والغرور.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الطلاق: 8].

قال السّدي: عتت، غيّرت، وعصت، والعتو: الكفر والمعصية.

وتركت أمر الله ولم تقبله[55].

خامسًا: الكفر:

حكى الله -عز وجل- مصارع الأمم التي كفرت نعم الله فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[النحل: 112].

وفي الحِكَم: من لم يشكر النّعمة تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها[56].

المطلب الثّالث: غاية القرآن الكريم من ذكر أماكن عذاب الأمم إما تصريحًا وإما تلميحًا.

ذكر رب العزّة العديد من أماكن العذاب لأقوام خلت لغايات ومقاصد وحكم متعددة، وما كان عذاب هذه الأمم جزاءً مُسبقاً لهم في الدّنيا، ولكن جاءت عقوبات الأمم الهالكة متسقة مع كليات الدّين الإسلامي ومحكماته.

فالدنيا ليست دار الجزاء التام، وإنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة، وهذا المعنى الواضح نجده مقرّرًا في كثير من الآيات القرآنية التي ذكرت عذاب الأقوام السّابقة، قال تعالى: -بعد ما قص طائفة من أنباء الأمم وما عوقبوا به- ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ [هود: 100-104].

والآيات في تقرير هذا المعنى كثيرة جدًا في القرآن الكريم.

---

54 الألوسي، محمود بن عبد الله (1994م). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (8 / 289).

55 الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (73/23).

56 الطّبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، (13/121).

فالآخرة هي دار الجزاء التام، وفي هذه الدّنيا يعاقب الله بقدر الحكمة والمصلحة، وهذه سنة من سنن الله في خلقه، وسأذكر بعض هذه الحكم والمصالح في مبحثي هذا مع ذكر بعض صور العذاب، والأسباب التي استحق هؤلاء أصحابها العذاب من أجلها.

1- ذكرها لغاية الاستحضار الذهني والتحذير من الذنوب والمخالفات الشّرعية:

إن القرآن الكريم في آياته الكريمة يذكر العديد من القصص عن الأمم السّابقة، ويعرض فيها أماكن العذاب التي تعرضت لها بعض الأقوام بسبب فسادهم ورفضهم للحق، هذه الأماكن لم تكن مجرد أحداث تاريخية، بل كانت تحمل في طياتها دلالات تربوية ودعوية مهمة.

إذ إن ذكر هذه الأماكن في القرآن الكريم لا يعدو كونه تحذيرًا للأمة الإسلامية من الانحراف والفساد، ودعوة للتمسك بالعقيدة الصّحيحة والابتعاد عن الضّلال. وبالتالي، يهدف القرآن الكريم من خلال ذكر هذه الأماكن إلى توضيح عدالة الله، وتحقيق الهداية والتحذير من مصير الأمم التي عارضت الحق.

ويؤكد القرآن الكريم مرة بعد أخرى أنه لم تعاقب أية أمة إلا بسبب أعمالها، وليس ظلمًا وإجحافًا.

2- ذكر هذه الأماكن لتكون شاهدة على عظمة الله -عز وجل-، وإظهارًا لصفات عدله -تبارك وتعالى-:

فالله تعالى أنزل القرآن الكريم هدايةً ورحمةً للعالمين، وجعل فيه تبيانًا لكل شيء، وأمرنا بالتفكر في آياته ومعانيه ومن بين هذه الآيات، نجد ذكرًا لأماكن بعينها تعرضت لعذاب إلهي نتيجة كفر أهلها وفسادهم، مما جعلها عبرة للمعتبرين.

قال ابن القيم: «وقد جعل الله سبحانه أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بد منه، فجعل منع الإحسان والزكاة والصدقة سببًا لمنع الغيث من السّماء والقحط والجدب، وجعل ظلم المساكين والبخس في المكاييل والموازين، وتعدي القوي على الضّعيف: سببًا لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون إن استرحموا، ولا يعطفون إن استعطفوا، وهم في الحقيقة أعمال الرّعايا ظهرت في صور ولاتهم، فإن الله سبحانه بحكمته وعدله يظهر للناس أعمالهم في قوالب وصور تناسبها»[57].

وفي هذا الكلام بيان لعدل الله -عز وجل- في إهلاك الأمم السّابقة، وترك آثارهم شاهد على عظمة الله.

إن ذكر هذه الأماكن في القرآن الكريم ليس مجرد سرد تاريخي، بل هو دعوة للتفكر والتدبر في معاني هذه الأحداث، وفي الغايات التي أراد الله -تعالى- أن يحققها من خلال ذكر هذه الأماكن.

فقد خصَّ القرآن الكريم بعض الأماكن التي تعرضت لعذاب الله، مثل "الأحقاف" التي كانت موطنًا لقوم عاد، و"الحجر" التي كانت موطنًا لقوم ثمود، وغيرها من الأماكن التي تحققت فيها العواقب الوخيمة نتيجة للكفر والطغيان.

---

57 () ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مصدر سابق، (4/333-334).

واستخف فرعون قومه؛ فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين؛ ففلق الله البحر لموسى وقومه فأنجاهم وأطبقه على فرعون ومن معه، فأغرقهم أجمعين ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: 54-56].

وقال سبحانه عن أقوام أهلكهم بأنواع القواصم والفواقر ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].

3- **ذكر أماكن الهلاك في القرآن؛ لتكون شاهدة على صدق الخبر**، فهذه الأماكن، وإن هلك الأقوام الذين سكنوها، إلا أن أماكنهم ما زالت باقية شاهدة على ما جرى، وقد رد ذكر أماكن وبلدان الأمم الهالكة في القرآن الكريم بالإجمال أو بالتصريح حتى تكون شاهدة على ما جرى عليها من أحداث جسام ارتبط ذكرها بقصص الأمم السّابقة.

وفي ذكر هذه الأماكن حكمة بالغة، منها ربط العبرة بالموقع حتى تكون آية مشاهدة لتذكر من جاء بعدهم بما جرى لهم لما خالفوا أوامر الله -عز وجل-، وكذلك تبرز صدق الرّسالة النّبوية في وصفها للأماكن والأحداث وفي هذا البحث سأتناول أماكن وبلدان هذه الأمم الهالكة.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[الروم: 9]

وهذه بعض الحكم والغايات من ذكر أماكن عذاب الأمم السّابقة، وكما أن هذه الأماكن وجودها عظة وعبرة للناس لتجنب ما يغضب الله، فهي تحذير ونذير لكل كافر معرض عن الإيمان بالله -عز وجل-، وهي في ذات الوقت بشارة لكل مؤمن مستضعف يقرب هلاك كل متكبر طاغية ومفسد في الأرض.

4- **من الحكم المهمة في ذكر الأماكن التي نزل بها عذاب على الأمم السّابقة، بشارة أهل الإيمان المستضعفين** في الأرض الذين يمرون على هذه الأماكن، أن الظّالم وإن طال زمانه إلا أن نهايته وشيكة.

5- **الردع والموعظة:** ذكر القرآن الكريم في أكثر من موضع أنه لم يعاقب أية أمة إلا بسبب أعمالها، وليس ظلما وإجحافاً، وكل أمة من الأمم جاء عقابها مناسبًا لأعمالها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

ومن مظاهر هذا الرّدع: الاستئصال في الدّنيا، وهو الوعيد الذي حق عليهم، وفي هذا الرّدع تسلية لقلب النّبي -صلى الله عليه وسلم-[58].

---

58 () ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (26/322).

6- **مناسبة العذاب لأفعال الأمم:** لم يكن العقاب الواقع على الأمم السّابقة متشابهًا لا في كمه، ولا في كيفيته، لقد تفاوت في الكم واختلف في الكيفية، وما ذلك إلا إشارة من الله -عز وجل- إلى أن العقوبة تناسب والذنوب المرتكبة، وهذا فيه تحذير ونذير شديدين من المولى -عز وجل-.

فقوم نوح أغرقوا، قال الله -عز وجل-: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25].

قال السّعدي: جعلت السّماء ينزل منها الماء شيء خارق للعادة، وتفجرت الأرض كلها حتى التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، لأنه موضع النّار[59].

وقوم عاد أهلكوا بالريح البارة الشّديدة البرد، قال ابن كثير: الرّيح كانت تأتي أحدهم حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط على الأرض، فتقلع رأسه، فيبقى جثة بلا رأس[60].

وقوم نوح أهلكوا بالصيحة، قال -عز وجل-: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: 31]، فقد بادوا عن آخرهم، ولم تبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كما يهمد يابس الزّرع.

وقوم لوط، رفعت قرى سدوم إلى السّماء، ثم جعل أعلاها أسفلها، ورجموا بحجارة من سجيل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [هود: 82][61].

وقوم فرعون أغرقوا، قال -عز وجل-: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[القصص: 40].

---

59 السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (2000)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق)، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، صـ382.

60 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، (8/226).

61 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، (12/134).

وأعظم فعل يستحق العقوبة هو الكفر بالله -عز وجل- الظّلم، فلقد أهلك الله -عز جل- الأمم الماضية، بظلمهم وكفرهم، بعد ما جاءتهم البينات، على أيدي الرّسل، وتبين الحق، فلم ينقادوا لهم، ولم يؤمنوا، فأحل الله بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرئ على محارم الله، وهذا سنته في جميع الأمم[62].

كان عذاب كل أمة بحسب ذنوبهم وجرائمهم، فعذب قوم عاد بالريح الشّديدة العاتية التي لا يقوم لها شيء، وعذب قوم لوط بأنواع من العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم، فجمع لهم بين الهلاك والرجم بالحجارة من السّماء، وطمس الأبصار، وقلب ديارهم عليهم، بأن جعل عاليها سافلها، والخسف بهم أسفل سافلين، وعذب قوم شعيب بالنار التي أحرقتهم وأحرقت تلك الأموال التي اكتسبوها بالظلم والعدوان، وإما ثمود فأهلكوا بالصيحة، فماتوا في الحال.

ومن اعتبر أحوال العالم قديمًا وحديثاً وما يعاقب به من يسعى في الأرض بالفساد وسفك الدّماء بغير حق، وأقام الفتن واستهان بحرمات الله، علم أن النّجاة في الدّنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون[63].

---

62 0 السّعدي، **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان**، مصدر سابق، صـ359.

63 0 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (1995)، **مجموع الفتاوى**، (تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النّبوية، السعودية، (16/249).

الخاتمة والنتائج:

بعد دراسة أسباب وصور هلاك الأقوام السابقين، وبيان مقصد القرآن من ذكر أماكن الهلاك، يمكن أن أخلص لأهم النّتائج:

1- عذب الله الأقوام السابقين بصور متنوعة تتناسب مع جنس مخالفاتهم ومعاصيهم.

2- لم يقع عذاب على قوم إلا وكان بعد إقامة الحجة، ووقوع النّذارة.

3- كان للقرآن الكريم غايات من ذكر أماكن الهلاك، على وجه التعيين وعلى وجه الإجمال وأبلغها العظة والاعتبار.

4- من جملة الأماكن المعروفة بنزول عذاب قوم عاد، وقوم ثمود.

5- رتب الشرع الحنيف جملة من الأحكام تخص أماكن العذاب والهلاك، وأجلاها، أنه لا يجوز زيارتها للتنزه، كما لا يجوز الانتفاع بما فيها من منافع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (1995)، **مجموع الفتاوى**، (تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النّبوية، السعودية.

ابن الجزري، محمد بن محمد، (2000م)، **شرح طيبة النّشر**، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن الجوزي، عبد الرّحمن بن علي، (1987م)، **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، دار البشائر، بيروت، لبنان.

ابن الجوزي، عبد الرّحمن بن علي، **(2002م)**، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي، (2003م) **أحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ابن منظور، محمد بن مكرم، (1994م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان.

الأصبحي، مالك بن أنس، (1985م)، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الأصفهاني، الحسين بن محمد، (1992م)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، دمشق، سوريا.

الألوسي، محمود بن عبد الله (1994م). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (1987م)، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان.

الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، تحقيق مشهور حسن، دار المعارف، الرياض، السعودية.

جبل، محمد حسن، (2010م)، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.

الحميري، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني. (1420 هـ - 1999 م) **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني و د يوسف محمد عبد الله، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (ت: 741هـ) (1994م)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (تصحيح محمد علي شاهين)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الرّازي، محمد بن أبي بكر، (1981)، **التفسير الكبير- تفسير الرّازي**، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الرّازي، محمد بن أبي بكر، (1999م)، **مختار الصّحاح**، تحقيق: يوسف الشّيخ، الدّار النّموذجية، بيروت، لبنان.

السجستاني، سليمان بن الأشعث، أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق مشهور حسن، دار المعارف، رياض، السعودية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (2000)،- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق)، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

شراب، محمد بن محمد، (2007م)، **شرح الشّواهد الشّعرية في أمات الكتب النّحوية**، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان.

الشوكاني، محمد بن علي، (1994)، **فتح القدير**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.

الشيباني، أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الطّبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ) (د. تـ)، **العين**، دار ومكتبة الهلال، مصر.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (د. تـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

القنوجي، محمد صديق خان، (1992م)، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النّسفي، (1419 هـ - 1998م)، **تفسير النّسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق: يوسف علي بديوي، تقديم، محيي الدين ديب مستو، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان.

النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النّووي (ت 676 هـ) (1929م)، **المجموع شرح المهذب**، (إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي)، القاهرة، مصر.
النووي، يحيى بن شرف، (1994م)، **الأذكار**، دار الفكر، بيروت، لبنان.
نويهض، عادل، 1988م، **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، ط3، بيروت، مؤسسة نويهض القافية للتأليف.